العصبة الهانزية من التأسيس الى الانحلال

م. د ستار حامد عبدالله العماري

جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم التاريخ

م. د عباس حسن عبيس الجبوري

وزارة التربية /مديرية تربية بابل

The Hanseatic League from founding to dissolution

Asst. Lec.Dr. Sattar Hamed Abdullah Al-Ammari

University of Babylon / College of Education for the Humanities - Department of History

البريد الالكتروني:hum.star.hamed@uobabylon.edu.iq

Asst. Lec.Dr . Abbas Hassan Abees Al-Jubouri

Ministry of Education / Babil Education Directorate

البريد الالكتروني : abbassaljobory@gmail.com

Abstract

The research examined the Hanseatic League, which had a clear impact in drawing features of economic developments in Europe in general and the Hansa cities in particular during the historical period that witnessed the establishment of that league, especially as it gradually expanded after many European cities included it and it had trade relations and agreements with several countries. It entered into competition with other countries to the extent that it compelled it to have military power to preserve its commercial privileges from any external aggression, after it was able to control several outlets for global trade.

Key words (Hanseatic League - Germany - Kalmar Union - England - Thirty Years War - Russia - England)

ملخص البحث

درس البحث العصبة الهانزية التي كانت لها أثرها الواضح في رسم ملامح التطورات الاقتصادية في أوربا بشكل عام ومدن الهانزا بشكل خاص في المدة التاريخية التي شهدت تأسيس تلك العصبة ولاسيما أنها أخذت بالتوسع تدريجيا بعد أن ضمت مدن أوربية كثيرة لها وأصبح لها علاقات تجارية واتفاقيات مع عدة بلدان أوربية ودخلت في تنافس مع دول أخرى الى الحد الذي أرغمها على أن تكون لها قوة عسكرية للحفاظ على امتيازاتها التجارية من أي اعتداء خارجي بعد أن استطاعت السيطرة على عدة منافذ للتجارة العالمية.

الكلمات المفتاحية (العصبة الهانزية – الالمان – اتحاد كالمار – انكلتر – حرب الثلاثين عام – روسيا – انلكترا)

المقدمة

شهد عصر النهضة الاوربية الكثير من التطورات السياسية والاقتصادية، ولعل العصبة الهانزية تعد واحدة من أبرز تلك التطورات التي لها الاثر البالغ في رسم الخارطة الاقتصادية في تلك المدة، لاسيما وأنها قد أفرزت واقعاً اقتصادياً مهماً في اوربا بصورة عامة ومدن الهانزا بصورة خاصة، إذ ادت الى ازدهار حركة النقل البحري والتبادل التجاري، فأخذت العصبة تتوسع بانضمام الكثير من مدن اوربا إليها, ودخلت في علاقات واتفاقيات وصلات تجارية مع دول اوربية مثل انكلترا وفرنسا وروسيا، وأصبحت ذات قوة عسكرية تمكنت من خلالها الحفاظ على امتيازاتها التجارية والتصدي الى الاعتداءات الخارجي، ونجحت في

فرض سيطرتها على بحر الشمال والبلطيق لتدخل في حقبة من التنافس والصراع مع دول حاولت السيطرة على منافذ التجارة العالمية.

لذلك وجد الباحث في العصبة الهانزية ما يستحق الدراسة لمعرفة الظروف التي ساعدت على ظهورها وتطورها واحتكارها التجاري، وماترتب عن ذلك من نتائج خطيرة ادخلتها في سلسلة حروب مع بعض الدول الاوربية فضلا" عن انحلالها النهائي.

اشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ناقش المبحث الاول الظروف التي مهدت لنشوء العصبة الهانزية وتأسيسها.

اما المبحث الثاني فأنه قد سلط الضوء على الاوضاع الداخلية للعصبة الهانزية ونظامها الداخلي الذي تمكنت من خلاله الزام المدن التابعة لها بقوانينها التجارية ،وتطرق أيضاً الى نشاطها الاقتصادي الذي من خلاله فرضت سيطرتها على التجارة في بحر الشمال والبلطيق، واشار كذلك الى سياستها الخارجية وحروبها مع بعض الدول الاوربية التي وجدت أن العصبة تشكل خطراً كبيراً على عملها التجاري.

وتطرق المبحث الثالث الى التنافس التجاري للعصبة الهانزية وانحلالها الذي بسببه فقدت امتيازاتها التجارية في اغلب دول اوربا رغم محاولاتها المتعددة للحفاظ على تلك الامتيازات، وتناول المبحث أيضاً حرب الثلاثين عام التي كانت السبب المباشر لانحلال العصبة .

اعتمد الباحث على مجموعة من الكتب الاجنبية والعربية والمعربة ومن اهمها كتاب (Forces of the Hanseatic League) لمؤلفه (David Nicolle) الذي زود البحث بمعلومات مهمة عن بدايات تأسيس العصبة الهانزية, وكتاب(The Hanse Towns) لمؤلفه (Helen Zimmern) الذي افاد منه الباحث في معظم مباحث الدراسة.

المبحث الاول: نشأة العصبة الهانزية[1]:

كان التنافس بين الالمان والسلاف[2] أحد الأسباب الرئيسة التي أدت الى اندلاع سلسلة من الحروب والصراعات بين الطرفين دخلت حيزاً خطيراً بظهور شارلمان(Charlemagne) [3] كشخصية قيادية حاولت فرض سيطرتها التامة ليست على الشعوب الناطقة بالسلافية ونشر الديانة المسيحية فيها فحسب، وإنما تعدى ذلك الى بلدان أخرى[4]، ففي عام 779 وعلى أثر اعتداء الزعيم السكسوني فيديكند(Vidikind) على البعثات التبشيرية الذين ارسلهم شارلمان لنشر المسيحية بين هذه العناصر الوثنية تمكن شارلمان في معركة (بوشولت) من هزيمة السكسون وتوزيع بعض أراضيها على رجال الدين المبشرين[5].

([1])الهانزا Hanse: تسمية ألمانية قديمة (تعني مجموعة او رابطة).

[2] السلاف: هم مجموعة عرقية لغوية يتحدثون باللغات السلافية ويستقرون في اوربا الوسطى واوربا الشرقية ودول البلقان وانتقلوا في العصور الأخيرة الى شمال آسيا وينقسمون الى قسمين سلاف شرقيين (روس– أوكرانيين– بيلاروسيين)، وسلاف غربيين (البولنديين– السلوفاكيين– التشيكيين)، وسلاف جنوبيين (السلوفينيين– الكروات– الصرب– المقدونيين– البوسنيين– البلغار). للمزيد ينظر: الموسوعة العربية العالمية، ج13، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999، ص28.

[3] شارلمان: هو ملك الفرنجة وحاكم الامبراطورية الكارولنجية بين عامي (768–800) وامبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة بين عامي (800–814) وهو الأبن الأكبر للملك بيبين القصير من سلالة الكارولنجيين وهو يعد من ابرز ملوك اوربا في العصور الوسطى. للمزيد ينظر: أشرف صالح محمد سيد, قراءة في تاريخ وحضارة اوربا الوسطى، شركة الكتاب العربي الالكتروني، بيروت،2008, ص39.

[4] David Nicolle, Forces of the Hanseatic League, Osprey publishing, London, No. date, P.3.

[5] محمود سعيد عمران, معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1986، ص171.

واندلعت الحرب مرة أخرى عام 784م عندما هاجم السكسون قوات شارلمان بيد أن الأخير تمكنت قواته من التصدي لذلك الهجوم وملاحقة القوات السكسونية صوب مدينة فردان وقتل منهم ما يقارب خمسة آلاف جندي[6]، والواقع أن العمليات العسكرية لشارلمان وسيطرته على أراضي واسعة كان يرافقها تأسيس عدد من المراكز الادارية والتجارية[7].

وفي عام 799م تعرضت روما الى ثورة داخلية طلب فيها البابا ليو الثالث(Leo III)[8] مساعدة شارلمان الذي سرعان ما استجاب لذلك وأرسل قواته العسكرية التي تمكنت من اخماد تلك الثورة ليعلن بعدها البابا عام 800 م شارلمان امبراطوراً للرومان[9].

وبعد التتويج قام بعدة اصلاحات منها الاهتمام بتطوير طرق المواصلات وشق القنوات لربط الأنهر الرئيسة مع بعضها وتسهيل عملية الملاحة فيها وأوجد أوزاناً ومقاييس جديدة , وعمل على اصدار عملة موحدة[10] الأمر الذي ساعد على تطور المراكز الادارية والتجارية التي قام بتأسيسها سابقاً والتي توسعت وتطورت الى مدن مهمة انضمت فيما بعد الى العصبة الهانزية بعد تأسيسها[11].

وبعد انهيار امبراطورية شارلمان عام 843 ونشوء مملكة المانيا بموجب معاهدة فردان(Treaty of Verdun) [12] في آب للعام نفسه[13] تعرضت المانيا الى سلسلة من الغزوات المسلحة على يد السلاف الفرنسيين (الونديين) كبدت فيها الجيش الالماني خسائر كبيرة فضلاً عن تدمير بعض المؤسسات الإدارية والمدنية، واستمرت المعارك بين الطرفين عدة عقود[14].

وفي القرن الثاني عشر ميلادي اعاد الالمان تنظيم الجيش وتسليحه , وحدثت معارك ضارية مع الونديين تمكن فيها الجيش الالماني من تكبيد مثيله الوندي خسائر كبيرة وفرض سيطرته على الاراضي الوندية واستيطان الالمان فيها ونشر الديانة المسيحية والثقافة الالمانية مع منح الونديين بعض الحقوق التي يتمتع بها الالمان وبالتالي ادى ذلك الى نوع من التعاون في مختلف المجالات لاسيما التجارية منها مما اتاح الفرصة الى الكونت ادولف الثاني(Adolf II) على تأسيس مدينة لوبك عام 1143 التي اتخذت فيما بعد عاصمة للعصبة الهانزية[15].

---

[6] مفيد الزبيدي, موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ج1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ص223.

[7] Nicolle, Op. Cit, P.3.

[8] ليو الثالث: بابا روما للمدة (795–816 م) ودافع عن الديانة المسيحية ضد الهرطقة وقام ببناء عدة مؤسسات وتعرض الى الكثير من المؤامرات والثورات نتيجة شدة اساليبه تجاه الارستقراطيين الرومان وتوفي عام 816م. للمزيد ينظر: www.moqatel.com

[9] كرستوفر دوسن, تكوين أوربا، ترجمة محمد سعيد عبد الفتاح عاشور ومحمد مصطفى زيادة، مؤسسة سهل العرب، القاهرة، 1967،ص ص 271–272.

[10] عبد القادر أحمد يوسف, العصور الوسطى الأوربية، المكتبة العصرية، بيروت، 1967، ص98.

[11] Nicolle, Op. Cit, P. 3.

[12] معاهدة فردان: وهي المعاهدة التي وقعت عام 843 بين أبناء لويس التقي على أثر الصراع الذي حدث بينهم حول تولي عرش الامبراطورية الكارولنجية بعد وفاة والدهم وعلى اثرها قسمت الامبراطورية الى ثلاثة ممالك بين الأبناء الثلاثة وهم لوثر ولودفش وشارل. للمزيد ينظر: نور الدين حاطوم, تاريخ أوربا في العصر الوسيط، ج1، دار الفكر، دمشق، 1982، ص208.

[13] رأفت عبد الحميد, الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2002، ص198.

[14] Walter Zinn,The Hanseatic League and The International Nature of Multinational Business,Michigan University Press,Michigan,No.Date,p.

[15]Christian Ewert and Stephan Selzer, The Hanseatic Merchants' Variable Strategiesin Heterogeneous Mercantile Environments, IEHC.Co, Helsinki,2006,P.4.

اما فردريك بربروسا(Friedrich Barbarossa) [16] (صاحب اللحية الحمراء) فقد حاول اعادة بناء النظام الامبراطوري في المانيا[17] إلا أن وفاته عام 1190 ادخلت البلاد في فوضى عارمة تغلغلت على أثرها النظم الاقطاعية مستغلة النزاعات الداخلية , وتمكن كبار الملوك واللوردات والامراء من السيطرة على أغلب مؤسسات الدولة[18] وفرض الرسوم والضرائب على البضائع التجارية , وحاول التجار الحد من ذلك والحفاظ على الامتيازات التجارية فعقدوا سلسلة اجتماعات خرجت بقرار تشكيل عدة نقابات تجارية التي تمكنت من استمالة بعض الأمراء ونبلاء المدن والعمل معاً لتطوير الموانئ التجارية فشهدت الأخيرة حركة تجارية واسعة ساعدت على نمو بعض المدن ومنها لوبك[19].

وفي خضم هذه التطورات اصدرت انكلترا عدة قوانين نصت على حماية التجار الأجناب من الخطر الذي يتعرضون له في رحلاتهم البحرية، لاسيما وأن التجارة عبر المحيطات والبحار أصبحت مسألة حيوية لإنكلترا وعاملاً اساسياً في دعم اقتصادها الوطني وهذا ما حفز التجار الالمان على الابحار الى لندن وتوسيع التبادل التجاري بين الطرفين وتشكيل نقابات تجارية مشتركة كانت تعقد اجتماعاتها في الكنائس المسيحية يجمعهم عامل الدين المشترك وأصبحت لتلك النقابات مخازن للسلع والبضائع في لندن[20].

ونتيجةٍ لما ذكر شهدت مدينة لوبك تطوراً ملحوظاً واصبحت نقطة انطلاق في البلطيق فضلاً عن نمو مدى أخرى مثل بريمن ورايلاند وكولون , وكانت الدرع الحربية والفحم الحجري والصوف والفواكه من أهم سلع التبادل التجاري لتلك المدن[21].

وفي الربع الأول من القرن الثالث عشر صدرت بعض المراسيم الامبراطورية في المانيا وانكلترا نصت على منح بعض امتيازات الطبقة العسكرية الى التجار ومنها استثنائهم من حضر حمل السلاح الذي كان مفروضاً في ذلك الوقت، ليتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم من اعمال القراصنة وقطاع الطرق مما أثمر عن توسيع التبادل التجاري , وأخذت تلك المدن تنمو وتتطور بصورة سريعة اكثر من السابق[22].

اما الحروب الصليبية الشمالية وخوف الالمان من الهيمنة الدنماركية فقد مثلت هي الأخرى أساساً لظهور العصبة الهانزية ففي عام 1219 تمكن فالديمار الثاني(Valdemar II)[23] من الاستيلاء على مقاطعة استونيا التي كان سكانها يدينون الديانة الوثنية، وسرعان ما ظهرت الخلافات بين رجال الكنيسة وفالديمار حول مسؤولية الاشراف على المقاطعة، وزادت حدة الخلافات عندما حاصر فالديمار ميناء مدينة لوبك ومنع المتطوعين الالمان من العبور خلاله والالتحاق بالقوى الصليبية في ليفونيا رغم

---

[16] فردريك بربروسا (1122–1190): ملك المانيا منذ عام 1152 وتوج ملكاً على ايطاليا عام 1154 ثم توجه البابا آدريان الرابع امبراطوراً للرومانية المقدسة عام 1155 شارك في الحروب الصليبية ضد المسلمين وتوفي عام 1190. للمزيد ينظر:
http://ar.wikipedia.org./wikI.

[17] س. رون هلستر, اوربا في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د. ت، ص188.

[18] رأفت عبد الحميد، المصدر السابق، ص225.

[19]Ernest F. Henderson , A History of Germany in The Middle Ages , George Bell and Sons , London , 1894 ,p.p. 250–255.

[20]Helen Zimmern, The Hanse Towns, G. P.Putnams Sons, London, 1889, P.P. 15–16.

[21]Zinn, Op. Cit, P. P.3–5.

[22]Nicolle, Op. Cit, P .5.

[23] فالديمار الثاني (1170–1241): هو ملك الدنمارك (1202–1241) كان احد اعظم ملوك الدنمارك عرف بلقب المنتصر وقد احتل العديد من المناطق في شمال غرب المانيا وأصدر عدة قوانين نالت رضا الشعب الدنماركي. للمزيد ينظر:
http://ar.wikipedia.org./wiki.

أن لوبك كانت تحت الحماية البابوية وهذا ما آثار حفيظة البابا هونريوس الثالث(Honorius III) [24] فطلب من فالديمار اعادة فتح الميناء الذي يشكل موقعاً استراتيجياً مهماً للحملات الصليبية إلا أنه رفض ذلك، وعندها ادرك الالمان خطورة الموقف في حال استمرار سيطرة فالديمار على لوبك، لذا في نهاية عام 1223 تسللت ليلاً قوة عسكرية بقيادة الكونت هنري (Henrey) امير شيورين الى مقر اقامته والقبض عليه وسجنه لمدة سنتين ونصف، وبعد اطلاق سراحه اعاد تنظيم قواته وجهزها بأسلحة جديدة، إلا إنه اصطدم بقوة الجيش الألماني الذي أوقع به هزيمة كبيرة في بورنهورفد عام 1227 لتنتهي بعدها السيطرة الدنماركية على البلطيق, واستقلال لوبك وحصولها على نوع من الحكم الذاتي ساعدها فيما بعد على أن تكون عاصمة للعصبة الهانزية[25].

وبعد استقلال لوبك حصلت مدن أخرى مثل ستراالوند وتورون ورانزغ على امتيازات تجارية تمكنت من خلالها تأسيس اتحادات تجارية اسهمت بشكل مباشر في تطورها الاقتصادي[26].

وتوجت هذه التطورات بتشكيل تحالف عسكري عام 1241 بين لوبك وهامبورغ لحماية طرق المواصلات التجارية في البر والبحر لاسيما في المقاطعات التي لا يسودها القانون والواقعة بين نهر الألب ونهر تراف فضلاً عن الحد من نفوذ الامراء واللوردات، واعلنوا أن التحالف يبقى مفتوحاً لقبول أي مدينة أخرى ترغب في الانضمام أليه، وبناءاً على ذلك انضمت عام 1246 مدن آوستانبورك وكوسلار ولونبيرغ في حين انضمت وزمار وروستوك عام 1259 الى التحالف المذكور[27].

وفي سياق تدعيم التحالف عقد التجار الالمان الذين كانوا يتواجدون في لندن سلسلة من الاجتماعات تمخضت عن تأسيس مركز تجاري اتخذ من قاعة (كودهول) الشهيرة في لندن مقراً له وبإيجار قدره 40 مارك سنوياً[28].

والواقع إن التحالف العسكري للمدن التجارية واجه مشكلة ذات ابعاد خطيرة تمثلت في رغبة ملك الدنمارك فالديمار الرابع(Valdemar IV) [29] السيطرة على بعض الدول الاسكندنافية كالسويد والنرويج التي لهما علاقات تجارية مع مدن

---

[24] هونريوس الثالث: ولد في روما عام 1148 وتوفي فيها عام 1227 وهو بابا الكنيسة الكاثوليكية (1216-1227) ومن ابرز دعاة الحملة الصليبية الخامسة ودعا رجال الدين المسيح الى المساهمة في تمويل هذه الحملة إلا أن الأخيرة قد تأجلت بسبب تخلي فردريك= =الثاني عن وعوده للبابا نفسه.للمزيد ينظر:

http://forum.educdz.com.

[25]Ewert and Selzer, Op. Cit, P.P. 8-9.

[26] Peter Stabel, Dwarfs Among Giants: The Flemish Urban Network in the Late Middle Ages, Leuven ,1997,p.56.

[27]Zimmern, Op. Cit, P.P. 53-55.

[28] Nicolle, Op. Cit, P. 10.

[29] فالديمار الرابع (1320-1375): ملك الدنمارك للمدة (1340-1375) وتمكن من تحرير بلاده من السيطرة الأجنبية واحكام سيطرته عليها وتوحيدها وأدت سياسته الخارجية العدائية إلى دخوله في عدة صراعات مع السويد. للمزيد ينظر:

http://www.britannica.com

التحالف، وزادت المشكلة خطورة بعد أن تزوجت مارغريت(Margarethe) [30] ابنة فالديمار من هاكون السادس(Haakon VI) [31] ملك النرويج عام 1363[32].

ونتيجةٍ لتلك التطورات التي شكلت خطراً على مدن التحالف فتحت افاقاً جديدة بين تجار مدينة كولونيا الذين تمكنوا من تأسيس (كونفيدرالية كولونيا) واتخذت عدة اجراءات لتفادي أي خطر يلحق بها من فالديمار[33].

وحظي هذا الاقتراح بتأييد واسع من تجار بعض مدن هولندا وفنلندا الذين قالوا ما نصه (بسبب الاخطار والاضرار الكبيرة التي سببها ملوك الدنمارك والنرويج ضد التجار، فنحن نعلن انفسنا اعدائهم ونرتبط معاً لمساعدة احدنا الآخر)، وبهذا التأييد عقدت عدة اجتماعات في لوبك حضرها التجار من مختلف مدن المانيا ومن دول اخرى انتهت بالاعلان عن تشكيل العصبة الهانزية عام 1367[34].

المبحث الثاني:الاوضاع الداخلية للعصبة الهانزية وسياستها الخارجية

اولاً: النظام الداخلي:

اتخذت مدينة لوبك عاصمةً للعصبة الهانزية وتم تأسيس مجلس تشريعي اعضائه من مدن العصبة سمح نظامه الداخلي لكل مدينة الانضمام إلى العصبة، وكانت اجتماعات المجلس التي تعرف بـــ(هانزتاغ) تعقد سنوياً، وتبدأ الساعة السابعة أو الثامنة صباحاً وتنتهي الساعة الواحدة أو الثانية ظهراً، ويمكن عقد جلسات استثنائية في حالة تعرض العصبة الى خطر يهدد أمنها أو عملها التجاري، واصدر المجلس بعض القوانين التي فرضت عقوبات على المدن التي لايحضر اعضائها اجتماعات المجلس في حالة عدم وجود مبدر لذلك وتمثلت تلك العقوبات بفرض غرامات مالية وأذا ما تكررت حالة عدم الحضـــور ثلاث مرات يتم تعليق عضوية تلك المدينة في العصبة[35].

اصدر المجلس قوانين أخرى تتعلق بعملية تنظيم التبادل التجاري بين اعضاء العصبة وحماية تجارها من سطوة الحكام ومنع فرض الضرائب والغرامات بطرق غير قانونية وتحريم زواج تجار تلك المدن من خارج مدنهم[36].

يرى الباحث إن تحريم زواج التجار من غير مدنهم هو خوفاً من حصـــول تقارب بين تاجر ما ومدينة أو دولة أخرى لا ترغب في تطور العصبة الهانزية وترغب في السيطرة على اغلب الموانئ التجارية التابعة لها وبالتالي قد يعطي ذلك الزواج الفرصة لمثل تلك المدن أو الدول للتدخل في شؤون العصبة الداخلية على أساس أن التاجر الذي تزوج منها يرتبط بعلاقات اجتماعية معها.

---

[30] مارغريت (1353–1412): هي ملكة الدنمارك ووحدت السويد والدنمارك والنرويج ضمن اتحاد كالمار واصبحت ملكة للدولة المذكورة بعد زواجها من هاكون السادس. للمزيد ينظر:

http://ar.wikirpdia.org./wiki.

[31] هاكون السادس (1340–1380): ملك النرويج منذ عام 1343 حتى وفاته وملك السويد ما بين عامي (1362–1364) وعرف أحياناً بـ(هاكون الشاب) لتميزيه عن جده هاكون الخامس ودخل في صراع مع القوى الاقليمية وتعرضت النرويج خلال عهده إلى وباء الموت الأسود (الطاعون). للمزيد ينظر: http://thebiography.us/enthaakon.

[32] A. Chritensen , Scandinavia and The Advance of The Hanseatics, Johnson.Co, London,1957. P.23.

[33]Zimmern, Op. Cit, P.p.59–60.

[34] Nicolle, Op. Cit, P. 11.

[35] P.Dollinger,The German Hansa,Stanford University Press, Stanford ,1970, P. 33.

[36] Nicolle, Op. Cit, P. 11–12.

وفي السياق نفسه صدرت قوانين تتعلق بتنظيم الملاحة في البحار والبحث عن الوسائل الضامنة لسلامة السفن البحرية وبناءآعلى ذلك شكلت العصبة هيئة بحرية تضم في عضويتها الملاحين وأصحاب السفن قامت بوضع الغرامات وبناء المنارات الضوئية وارشاد السفن البحرية فضلاً عن التأكد من جاهزية القنوات المائية التي تتعرض بين وقت وآخر الى تراكم الترسبات، ومنعت الهيئة السفن من الابحار في الشتاء اعتباراً من الحادي عشر من تشرين الثاني ولغاية الثاني من شباط، وعدم السماح لأي سفينة بنقل أكثر من قدرتها الاستيعابية[37].

وكانت قوانين العصبة أو المراسلات الخارجية التي تبعثها العصبة الى الملوك والامراء تختم بختم خاص هو عبارة عن علم ذو لونين أحمر وأبيض تتوسطه علامة الصليب ، ولتوسيع حجم التبادل التجاري بين المدن الهانزية أسست العصبة عدة مصانع لبناء السفن وصيانتها واستخدمت الأجهزة الملاحية لجمع المعلومات عن مظاهرة المد ولجزر في البحار[38].

اما على الصعيد العسكري كان للعصبة قيادة عسكرية مركزية مقرها في لوبك أيضاً تتصل بها القيادات الفرعية لمدن العصبة الأخرى، ويترأس كل قيادة ضابط يعرف بـ(ضابط المقر) ويعين من قبل المجلس التشريعي وتضم القيادة عدة ضباط وجنود[39].

اما صنوف الجيش فهي ثلاثة اصناف قتالية يأتي في مقدمتها الفرسان وقد تميز من هذا الصنف (شباب لوبك) بشجاعتهم وقدرتهم القتالية ، ومن ثم المشاة والمدفعية اللذين كان لهما دور فاعل أيضاً في الحروب، وزيادة على ذلك تمتلك العصبة اسطولاً بحرياً يظم عدد من السفن البحرية العسكرية يطلق عليها كوجي (Kogge)[40].

ثانياً: النشاط الاقتصادي:

توسعت العصبة الهانزية بانضمام مدن بيجن ولندن وبروجس ونوفكورد[41] وغيرها ليصل عددها حوالي 80 مدينة[42] وتزايدت فيما بعد إلى حوالي 200 مدينة، وتعددت مراكزها ووكلاتها التجارية وبالتالي تمكنت من احتكار التجارة في معظم شمال اوربا وبحر البلطيق وروسيا ومعظم الدول الاسكندنافية فضلاً عن الحصول على الامتيازات التجارية المهمة من خلال التفاوض مع الملوك والامراء والبحث عن اسواق لبيع السلع التجارية ,وقامت العصبة ببناء بعض المستودعات والمخازن التجارية في اغلب بلدان اوربا فزاد ذلك من قوة مركزها التجاري [43].

ونظراً للتطور الحاصل في التبادل التجاري سعت العصبة إلى توسيع اسطولها البحري بصناعة سفن جديدة ذو طاقات حمل اكبر من سابقاتها فمثلاً صنعت سفينة (كوج) بطول 30 متراً وعرض 7 متراً وعمق 3 متر تحت الماء وبطاقة حمل تصل إلى 100 لاست[44] ثم طورت هذه السفينة لتصل حمولتها إلى 150 لاست واطلق عليها (الهوركة)[45]، ووصل عدد سفن اسطولها

---

(37) E .Sample, The Development of Hansa Towns in The relation With Their Geographical Environment, Jornal of American Geographical Society , Vol.16,P.P.236-240.

(38) Dollinger, Op. Cit, P .18-19.

(39) Nicolle, Op. Cit, P. 14.

(40) Stabel, Op. Cit, P.72.

(41) Chritensen , Op. Cit, P.28.

(42) جفري برون, تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص136.

(43) Nicolle, Op. Cit, P. 37-38.

(44) لاست: وحدة وزن تقرر بـ(4000) باوند.

(45) جان بيرنجية وآخرون, موسوعة تاريخ أوربا العالم، ج2، ترجمة وجيه البعيني، منشورات عويدات، بيروت، 1995، ص ص120-123.

البحري إلى 1000 سفينة تنوعت بين العسكرية والتجارية وبذلك اصبحت ذو قوة بحرية كبيرة استطاعت من خلالها تحقيق ارباحاً مالية وحماية مصالحها التجارية في اوربا بصورة عامة[46].

وتنوعت صادرات العصبة الهانزية فمنها القمح[47] والفراء والعسل من روسيا والخشب والقطران والسمك من سكسونيا والذرة والجلود والصوف من انكلترا والملح من خليج بسكاي وبورجنيف والنبيذ من فرنسا فضلاً عن سلع ومواد أخرى مثل الفلفل والبوتاس والحديد والزيت، ومن الشرق العطور والتوابل واللوز والمعادن والتمر والتين والمجوهرات[48].

ومن الجدير بالذكر إن من أهم مواقع الاستيراد والتصدير للعصبة هي ستيليارد وبرستول وايستوبغ[49].

والواقع إن التطور التجاري شجع تجار العصبة في البحث على اسواق جديدة تحاول من خلالها بيع صادراتها التجارية وفعلاً استطاعت أن تجعل لنفسها اسواقاً في اغلب الدول الأوربية، وعقد الاتفاقيات التجارية معها وتأسيس المصارف المالية فمثلاً عقدت مع الفلاندر اتفاقية تجارية سمح فيها للعصبة ببناء المخازن التجارية في مدينة برجيس فضلاً عن استخدام موانئها البحرية، ودخلت أيضاً في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية وافقت على اثرها الأخيرة على التبادل التجاري بين الطرفين مع تخفيض الرسوم والضرائب الكمركية على البضائع الهانزية[50].

اما اسبانيا فقد استغلت العصبة الفراغ التجاري الحاصل فيها بعد طرد اليهود منها فضلاً عن انشغالها بحروب خارجية كبدتها خسائر مادية كبيرة فمن الطبيعي أن تستجيب اسبانيا لأية عروض تجارية من شأنها أن ترتقي بالواقع الاقتصادي، وهذا ما حصل فعلاً إذ اعلنت الحكومة الاسبانية عن موافقتها على عرض العصبة والقاضي بتوسيع النشاط التجاري بين اسبانيا والعصبة الهانزية[51].

ووافقت البرتغال ايضاً على بناء مصانع مشتركة مع العصبة في لشبونة واخذت تصدر البضائع عن طريق البحر المتوسط الى المدن الايطالية والى الهند وبلاد الشام[52].

ونتج عن ذلك التوسع التجاري نمو مدن العصبة الهانزية بشكل كبير وحصل انقلاباً ملحوظاً في كافة المجالات إذ تطورت صناعة النسيج والسفن والأسلحة والتعدين والورق وغيرها، وتوسعت الزراعة وتعبدت بعض الطرق الرئيسية وبنيت كنائس وشقت قنوات مائية جديدة وشهدت نهضة فكرية في مختلف العلوم والآداب[53].

ثالثاً: حروب العصبة الخارجية:

1. الحرب مع اتحاد كالمار(Kalmar unionen) وهولندا:

---

(46) Zinn, Op. Cit, P. 26.

(47) مفيد الزيدي, موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ج2، ص597.

(48) هنري بيرين, تاريخ أوربا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، ترجمة عطية القوصي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996، ص144.

(49) Sample, Op. Cit, P. P. 244-248.

(50) Zimern, Op. Cit, P. P. 171-173.

(51) Sample, Op. Cit, P.P. 250-251.

(52) Zimern, Op. Cit, P.174.

(53) H .Palais ,Economic and Social History of Medival Europe, Harcourt and Co, New York,1937,P.P.222-227.

بعد سيطرت العصبة على بحر الشمال والبلطيق[54] اخذت تتطلع إلى السيطرة على بعض الطرق البرية لاسيما وإنها بدأت بمد نفوذها التجاري إلى هولزتاين ومكلمبورغ وليفونيا وكوبنهاغن، في الوقت الذي شهدت فيه أوروبا تغيرات وتحالفات سياسية وتزايد حدة التنافس الاستعماري، وهذا ما اثار حفيظة الدنمارك التي ادركت أن الحل الوحيد للحفاظ على مصالحها والوقوف بوجه العصبة الهانزية واعادة السيطرة على بحر الشمال هو تشكيل اتحاد يعرف بـ(اتحاد كالمار) بزعامة مارغريت وضم (الدنمارك– السويد– النرويج)[55].

وفي الحادي عشر من تموز عام 1427 قام الاسطول البحري لاتحاد كالمار وبالتعاون مع الاسطول الهولندي بالهجوم على اسطول العصبة الهانزية (بي سلات) وتكبيده خسائر في الأرواح قدرت حوالي 200 بين قتيل وجريح واعتقال 600 فضلاً عن مصادرة كميات كبيرة من المواد والسلع التجارية[56].

ورداً على تلك الاعتداءات جهزت العصبة الهانزية اسطولها البحري وشنت هجوماً عام 1430 على الأسطول الهولندي وكبدته خسائر كبيرة , واستمرت المعارك البحرية تتدلع بين حين وآخر لغاية عام 1435 الذي توصل فيها الطرفان الى عقد معاهدة سلام حصلت فيها العصبة على بعض الامتيازات التجارية في هولندا ومنها الاعفاء من الرسوم الكمركية[57].

يتضح مما تقدم مدى القوة العسكرية التي كانت تملكها العصبة الهانزية إذ إنها اجبرت هولندا على التوقيع على معاهدة سلام , وتقديم الأخيرة بعض الامتيازات التجارية الى العصبة.

2. الحرب مع إنكلترا:

بعد انتهاء الحرب مع الدنمارك وهولندا تعرضت سفن العصبة الهانزية الى عمليات نهب وسلب من قبل القراصنة الانكليز ففي عام 1449 قاموا بمهاجمة احد الاساطيل البحرية للعصبة الذي كان يحمل كميات كبيرة من الملح والاستيلاء عليه، وحاولت السلطات الانكليزية الحد من ذلك لاسيما وأنها مسؤولة عن حماية التجار الاجانب حسب قوانينها التجارية إلا أنها فشلت في ذلك، إذ استمرت تلك العمليات التي كبدت فيها العصبة خسائر مادية وبشرية وهذا ما ترك أثراً سلبياً على طبيعة علاقاتها مع الانكليز[58].

وفي عام 1468 حركت العصبة اسطولها البحري صوب السفن الانكليزية التي كانت متوجهة نحو البلطيق وتمكنت من محاصرتها والاستيلاء عليها، وعلى أثر ذلك اوعزت السلطات الانكليزية إلى قواتها العسكرية باغلاق المستودعات ومخازن البضائع التجارية التابعة للعصبة في لندن، واعلنت العصبة قطع علاقاتها الدبلوماسية والتجارية مع انكلترا وهذا نذير حرب قادمة[59].

ففي عام 1469 بدأت المعارك البحرية بين الطرفين استطاع خلالها اسطول العصبة من تحقيق عدة انتصارات اجبرت انكلترا عل سحب اسطولها البحري، أي إنها في الوقت نفسه قامت قواتها البرية بقتل واعتقال العديد من تجار العصبة في لندن،

---

[54] سعيد عبد الفتاح عاشور, اوربا العصور الوسطى، ج2، مكتبة النهضة المصرية، 1959، ص116.

[55] Chritensen , Op. Cit, P.p.36-39.

[56] Nicolle, Op. Cit, P.P.39- 40.

[57] Zimern, Op. Cit, P. P.167-169.

[58] John D. Fudge, Aspects of The Anglo-Hanseatic Conflict in The Fifteenth Century. University of Montréal, Montréal , 1983 ,p.p.19-20.

[59] Sample, Op. Cit, P. P. 250-252.

ونتيجة لتلك الاجراءات القاسية التي قام بها الانكليز تعالت الاصوات في المدن الهانزية التي طالبت بشن هجوم عسكري بري على انكلترا[60].

واستجابةٍ لذلك شنت العصبة الهانزية في عام 1471 هجوماً عسكرياً برياً على الاراضي الانكليزية وتمكنت من احتلال بعض المناطق الحدودية وقتل كل اسير انكليزي، الأمر الذي ارغم ادوارد الرابع(Edward IV) [61] على ارسال دوق بورغندي شارل الشجاع (Charles the Bold)[62] الى لوبك وبعد سلسلة مفاوضات اجراها مع المجلس التشريعي تم التوصل الى عقد معاهدة اوتريج(Utrecht) عام 1473 سمح فيها للانكليز بحرية التجارة في البلطيق والموانئ الهانزية في دانتزغ وروسيا، وبالمقابل استعادت العصبة كافة الامتيازات التجارية التي كان قد فقدتها في لندن بعد حرب عام 1468 فضلاً عن منحهم امتيازات جديدة[63].

يرى الباحث إن الانتصارات التي حققتها العصبة قد لا تفسر على إن انكلترا لاتمتلك القوة العسكرية البرية والبحرية التي لا تستطيع الوقوف بوجه قوة العصبة الهانزية، وإنما قد يكون سبب ذلك لانشغال قواتها في حروب أخرى داخل اوربا وبالتالي اعطى ذلك الفرصة للعصبة لتحقيق الانتصار.

3. الحرب مع روسيا

ادرك الروس خطورة العزلة البحرية التي فرضتها عليها الاتفاقيات السياسية بين الدول الكبرى إذ لم يبقى لهم سوى مرفأ اركانجال على البحر الأبيض الشمالي والذي تتجمد مياهه في اغلب فصول السنة[64]، ومما زاد من خطورة الموقف هو احتكار العصبة الهانزية للتجارة في بحر البلطيق فضلاً عن انضمام بعض المدن الروسية إليها ومنها نوفكورد، لذا عمل ايفان الثالث(Ivan III)[65] بعد توليه حكم روسيا على جعل نظام الدولة نظاماً قيصرياً صارماً الغى فيه كافة الحريات السياسية والاقتصادية وساعد على ترسيخ النظام الاقطاعي، وهذا ما يتعارض مع سياسة العصبة الهانزية التي ترتبط بعلاقات تجارية مع نوفكورد وتأزمت العلاقات الدبلوماسية بين روسيا والعصبة ووصلت إلى حد الصراع العسكري إذ اصدر ايفان الثالث أوامره العسكرية عام 1494 بطرد تجار العصبة الهانزية وقتل من يعارض ذلك[66].

---

(60) Zimern, Op. Cit, P. P. 185-186.

(61) ادوارد الرابع (1442-1483): الابن الأكبر لرتشيرد دوق يورك وهو أول من اعتلى العرش من أسرة يورك بعد خلع الملك هنري السادس من أسرة لانكستر أثر الحرب الاهلية التي نشبت في انكلترا والتي عرفت بحرب الوردتين وحكم انكلترا للمدة (1461-1483) .
للمزيد ينظر: Encyclopedia Britanica,vol.7. P. P. 995-996.

(62) شارل الشجاع (1433-1477): دوق بروغندي للمدة 1467-1477 وكان آخر افراد أسرة فالوا التي حكمت بروغندي، وتزوج من كاثرين ابنة شارل السابع ملك فرنسا، وكان له دور في الصراعات التي نشبت بين فرنسا وانكلترا. للمزيد ينظر:
http://www.Luminarium.org/encyclopedia/charlesbold.

(63) Fudge, Op. Cit, P. 58.

(64) عبد المجيد نعنعي، أوربا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة 1453-1848، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص ص159-160.

(65)إيفان الثالث (1440-1505): يعرف أيضاً بأسم ايفان الكبير وهو أبن فاسيلي الثاني وأمير موسكو وقيصر روسيا للمدة (1462-1505) وأنقذ بلاده من الاعتماد على القبلية الذهبية ووسع حدود آمارته , ودخل في عدة حروب مع الامارات المجاورة. للمزيد ينظر: منير البعلبكي, معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص81.

(66) Nicolle, Op. Cit, P.42.

المبحث الثالث :التنافس التجاري وانحلال العصبة الهانزية:

اولا: التنافس التجاري:

شهدت اوربا في نهاية القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية جاءت بنتائج سلبية على العصبة الهانزية التي بدأت تفقد دورها التجاري في اوربا بصورة خاصة والعالم بصورة عامة، ففي هذه المدة عملت الحكومات الاوربية على اعادة النظر في نشاطها التجاري وتوجيهه بما يخدم الانتاج الوطني لاسيما بعد الانقلاب الكبير الذي أفرزته حركة الكشوفات الجغرافية في التبادل التجاري إذ استطاع التجار الوصول الى الهند عبر رأس الرجاء الصالح، وتحولت مراكز التجارة الاوربية من حوض البحر المتوسط وبحر البلطيق[67].

ففي عام 1496 عقدت انكلترا اتفاقية (الاتفاق العظيم) التجارية مع الفلاندر أحد أهم الاقاليم التي ترتبط بعلاقات تجارية واسعة مع العصبة الهانزية، وفي عام 1553 أسست شركة مع روسيا عرفت بـــ(شركة التجارة الروسية) وهذا ما ادى الى زيادة حجم التبادل التجاري لانكلترا مع البلدان المذكورة وأثر عليه سلباً مع العصبة الهانزية[68].

وعلى صعيد متصل شجعت الحكومة الانكليزية الصناعات الوطنية ورفعت الرسوم والضرائب الكمركية على البضائع المستوردة، وزيادة على ذلك منعت تجار العصبة الهانزية من تصدير البضائع الانكليزية الى غير المدن الالمانية وبذلك أصبحت العصبة في وضع لا تُحسد عليه لاسيما بعد ظهور التنافس التجاري لها[69].

وامام تلك التحديات وخشـــيةً من فقدان العصـــبة لجميع امتيازاتها التجارية في لندن طالب المجلس التشـــريعي الملك هنري الثامن(Henry VIII)[70] بضرورة التدخل والحفاظ على العلاقات التجارية بين الطرفين بيد أن الأخير وافق على ذلك واعاد الى العصبة بعض امتيازاتها السابقة[71].

وبعد وفاة هنري الثامن واعتلاء عرش انكلترا ابنه ادوارد الســـادس (Edward VI) [72] اكد الأخير على ضـــرورة الحفاظ على العلاقات التجارية مع العصبة الهانزية، إلا أن التجار الانكليز كانت تراودهم الشكوك مع احتمال فقدانهم لنفوذهم التجاري بسبب منافسة تجار العصبة لهم ويؤيدهم في ذلك ثوماس كرشمان(Thomas Krschman) مسؤول البورصة المالية في لندن والذي

---

[67] إسحق عبيد، عصر النهضة الأوربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006، ص48.

[68] روبرت. ر بالمر ، تاريخ العالم الحديث، أوربا من القرون الأولى حتى عام 1740، ج1، ترجمة محمود حسين الأمين، مؤسسة فرانكلين للطباعة، الموصل، 1964، ص ص191-192.

[69]) Fudge,, Op. Cit, P. 118.

[70] هنري الثامن (1491-1547): ثاني ملوك أسرة آل تيودور وحكم انكلترا خلفاً لوالده هنري السابع للمدة(1509-1547) ولورد آيرلندا ثم ملكها بعد ذلك ودخل في صراع مع الكنيسة الكاثوليكية بسبب زيجاته الكثيرة وعمل على فصل كنيسة انكلترا عن سلطة البابوية.

للمزيد ينظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج7، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994، ص154.

[71]) Rev. C. E. Moberly, The Early Tudors Henry VII.: Henry VIII, Charles Scribner's Sons, New York, 1889,p.p.113-114.

[72] ادوارد السادس (1537-1553): خلف آباه هنري الثامن على العرش للمدة(1547-1553) بإشراف مجلس وصاية وكان يسيطر خاله وحاميه ادوارد سيمور دوق سمرست.

للمزيد ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، ط2، المكتبة العصرية، بيروت، 2009، ص203.

قدم مقترحاً الى الدوق نورثمبلاند(Duke of Northumberland) يقضي بإغلاق معمل تابع للعصبة في ستايليارد على أساس أنه يقف حائلاً دون تنامي الصناعة الوطنية[73].

وتصاعد سخط التجار الانكليز بسبب ما يتعرضون له من سوء معاملة في بعض المدن الهانزية مثل دانزنغ وسترالسوند، لذلك قدموا عدة برقيات الى الملك طالبوا فيها الأخير بضرورة التدخل ومنع أي عمل يسيء لهم، ووضحوا له في الوقت نفسه حجم الخسائر المادية التي تصيب خزينة الدولة بسبب تفوق صادرات العصبة الهانزية من الاقمشة الانكليزية والبالغة 44000 قطعة سنوياً قياساً بصادرات انكلترا من الاقمشة نفسها والبالغة 1100 قطعة سنوياً، وبناءآ على ذلك قرر الملك الغاء بعض الامتيازات التجارية للعصبة الهانزية في لندن[74].

وفور وصول مسامع تلك الانباء الى المجلس التشريعي للعصبة في لوبك قام بإرسال بعض اعضائه للتفاوض مع ادوارد السادس، وبعد عدة اجتماعات حصلت موافقة الأخير على اعادة بعض امتيازات العصبة المفقودة شريطة الكف عن استغلال التجار الانكليز[75].

وبعد وفاة ادوارد السادس وتولي أخته ماري الأولى(Mary I) [76] عرش انكلترا عاد تجار الأخيرة بتقديم الشكاوي الى الملكة ضد تجار العصبة وعلى أثرها قررت الملكة منع تجار العصبة من تصدير القماش الانكليزي وتخفيض نسبة البضائع الأخرى والتي تصدرها العصبة أيضاً من لندن إلى 66%، وفي حال عدم التزام العصبة بذلك يتم الغاء كافة امتيازاتها في انكلترا[77].

وفي محاولة من المجلس التشريعي لتفادي خطر ذلك أرسل بعض اعضائه للتفاوض مع المملكة ماري إلا أن ذلك لم يحقق نتيجة تذكر، حينها توجهت أنظار المجلس صوب فيليب الثاني(PhilipII) [78] ملك اسبانيا طالباً منه التدخل والضغط على الملكة ماري لإعادة بعض الامتيازات بيد أن الأخيرة رفضت ذلك أيضاً[79].

يرى الباحث إن الحكومة الالمانية لم يكن لها أي موقف بشأن التداعيات الخطيرة التي تتعرض لها العصبة الهانزية خلال تلك المدة وقد يكون ذلك منطلقاً من انشغالها بالحرب الأهلية التي شهدتها المانيا والتي انتهت بصلح أوغسبرغ عام 1555 والذي كان بداية لتفكك الامبراطورية الالمانية الى عدة دويلات.

---

(73) Arthur D. Innes, A History of England and The British Empire, The Magmillan Company, New York , 1913 ,Vol. II, p.p.128-139.

(74) Zimern, Op. Cit, P.P. 328-330.

(75) Fudge, Op. Cit, P. 121.

(76) ماري الأولى (1516-1558): أو ماري تيودور ابنة هنري الثامن تولت الحكم في انكلترا خلفاً لأخيها ادوارد السادس للمدة(1553-1558) وعرفت أيضاً بلقب ماري الدموية لكثرة الاعدامات التي حدثت في عصرها بتهمة الهرطقة.

للمزيد ينظر: منير البعلبكي، المصدر السابق، ص406.

(77) H.palais,England first Attempt to Break The Commercial Monopoly of THE hanseatic League, American Historical Review , New York ,1959,P.P.852-854..

(78) فيليب الثاني (1527-1598): ابن شارل الخامس وملك اسبانيا للمدة(1556-1598) عمل على تعزيز مكانة اسبانيا السياسية والعسكرية وكان من انصار الكاثوليكية وهذا ما ساعد على نشوب الثورة في الأراضي المنخفضة الأمر الذي أدى الى دخول الاسبان في حروب ضد الامبراطورية العثمانية وانكلترا.

للمزيد ينظر: منير البعلبكي، المصدر السابق،ص 342.

(79) Mark Gardiner and Natascha Mehler, English and Hanseatic Trading and Fishing Sites in Medieval Iceland,Anderson .co, london, no.date, P. P. 388-389.

وزادت أوضـــاع العصـــبة ســـوءاً بعد اعتلاء اليزابيث الأولى(Elizabeth I) [80] عرش انكلترا عام 1558، التي ســـرعان ما اصـدرت مراسيمها الملكية والتي الغت فيها امتيازات أخرى للعصـبة في لندن وكان هذا استجابة لطلبات التجار الانكليز واللورد بيرلغ، وزيادة على ذلك فرضـت رسـوماً وضـرائب عالية على البضـائع الهانزية، وبالتالي فقدت الأخيرة بشـكل تدريجي جميع امتيازاتها في لندن[81].

اما هولندا فقد انتهزت ضـعف قوة العصـبة الهانزية في لندن فأخذت تعمل على تحريض مدينة برجيس على مقاطعة العصـبة والخروج من عضـويتها ونتيجةً لذلك رفضـت المدينة دفع الضـرائب التي كان قانون العصـبة يفرضـها على جميع المدن التابعة لها[82].

ولتفادي خطر الخسائر المادية للعصـبة الهانزية قدمت مدينة كولون مقترحاً يقضـي باستبدال الضـرائب بمبلغ مقطوع سنوياً إلا أن برجيس رفض ذلك , واعلنت رسمياً خروجها من العصبة الهانزية، وعند ذلك سارعت الأخيرة الى نقل المصنع التابع لها في برجيس الى مدينة أنتويرب التي تعرضـــت الى الغزو الاســـباني عام 1576 وتم طرد جميع التجار الهانزيين منها ، وبعد ذلك غلقت معامل ومصـــانع مدن أخرى ابوابها وتوقفت عن العمل وتزايدت حدة التنافس بين تجار العصـــبة والتجار الأجانب وبدأت تفقد سيطرتها على الاحتكار التجاري[83].

وفي محاولة من المجلس التشـريعي للخروج من هذا المأزق الخطير عقد عدة اجتماعات انتهت بصـدور قرار اكد فيه أن مفتاح الحل يكمن في اسـتمرار فرض الضـرائب القديمة على المدن التابعة للعصـبة إلا أن مدن هولندا رفضـت ذلك واعلنت رسـمياً انسـحابها من العصـبة، وزيادة على ذلك فرضـت هولندا والسـويد والدنمارك سـيطرتها على معظم موانئ الراين وبحر البلطيق، وفقدت العصبة بذلك أهم مراكزها التجارية وموانئها البحرية[84].

ثانيا :حرب الثلاثين عام وانحلال العصبة الهانزية:

فشل صـلح اوغسـبورغ عام 1555 في حل مشـكلة الصـراع الديني بين الكاثوليك والبروتسـتانت في المانيا فنظر كل منهما الى الصلح على أنه هدنة مؤقتة تتيح له العمل بكل الوسائل لمد نفوذه على حساب الطرف الآخر، ونجح الكاثوليك في وقف انتشار البروتســتانتية واعادة الكثير من اتباعها الى الكثلكة الأمر الذي زاد من وتيرة الخلافات بين الجانبين فســارع البروتســتانت الى تشكيل اتحاد عام 1608 ضم الامراء البروتستانت في الشمال والجنوب ويعرف بـــ(الاتحاد البروتستانتي) للحفاظ على ديانتهم وبالمقابل شكل الكاثوليك (العصبة الكاثوليكية) عام 1609[85].

---

[80] اليزابيث الأولى (1533-1603): لقبت بالملكة العذراء ، كانت ملكة انكلترا وايرلندا للمدة (1558-1603) عرف عصرها بالعصر الذهبي في انكلترا ،وهي الحاكم الأخير من سلالة = تيودور ، وشهدت انكلترا في عهدها نهضة ادبية وتجارية وعسكرية بعد أن تمكن الاسطول الانكليزي من هزيمة الاسطول الاسباني (الارمادا) ويعد ذلك الانتصار من اعظم انتصارات انكلترا العسكرية.للمزيد ينظر:

Encyclopedia Britanica,vol.9. P. 282.

[81] Innes, Op. Cit, P. P. 157-158.

[82] Nicolle, Op. Cit, P. 43.

[83] Zimern, Op. Cit, P.306.

[84] Zimern, OP.Cit, P. P. 321-322.

[85] عبد الحميد بطريق وعبد العزيز نوار, التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1974، ص ص169-170.

ونتيجة لما ذُكر اعلاه اندلعت الحرب بين الطرفين في ايار عام 1618 عرفت بحرب الثلاثين عام كانت شـــرارتها الأولى في بوهيميا وأخذت بالتوسع واشتركت فيها بعض الدول الأوربية[86].

ومن الجدير بالذكر حاولت اغلب الدول المشتركة في الحرب التحالف مع العصبة الهانزية التي تمتلك اسطولاً بحرياً قوياً , وفي طليعة تلك الدول هي السـويد إذ قدم ملكها غوسـتاف ادولفوس(Gustav Adolf) [87] طلباً الى العصـبة للتحالف معه وحذت حذوه فرنسـا واسـبانيا إلا أن العصـبة ادركت حجم الخطر الذي قد يلحق بها في حالة اشـتراكها في الحرب لذا رفضـت طلب الجميع واعلنت اتخاذها جانب الحياد[88].

وفي السياق نفسـه كلفت الدنمارك الكونت تيلي للتفاوض مع العصـبة والحصـول على دعمها العسكري بيد أن الأخيرة رفضـت ذلك أيضاً، الأمر الذي اثار حفيظة الدنمارك فوضعت العصبة بين خيارين اما الاشتراك في الحرب الى جانبها أو دفع غرامات مالية وتجنب الاحتلال العسـكري لها فاسـتجابة العصـبة الى الخيار الثاني فدفعت مدينة روسـتورك مائة ألف مارك وويسـمارك مائتان ألف مارك وهامبروغ زادت عن ذلك، اما مدن روســـتوك ورنيموند وماكديبرغ كانت قد تعرضـــت الى عدة هجمات عسـكرية[89] وتكبدت خسـائر كبيرة، إلا أن ذلك لم يسـتمر طويلاً فقد انهزمت الدنمارك على يد النمسـا وانتهت الحرب بتوقيع معاهدة وستفاليا عام 1648 التي فقدت على أثرها المانيا بوميرانيا الغربية واسقفيات برمن وفردان لتفرض سيطرتها الكاملة على بحر البلطيق[90] وبالتالي فقدت العصـبة الهانزية احتكارها التجاري في ذلك البحر, وزادت الحرب من قوة امراء الاقاليم الالمانية الذين اعلنوا استقلالهم وارغموا مدنهم على الانسحاب من العصبة الهانزية وهذا ما ادى الى انهيارها عام 1669[91].

---

[86] عبد الحميد بطريق وعبد العزيز نوار, التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة الى اواخر القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص105.

[87] غوستاف أدولفوس (1594–1632): ويعرف غوستاف الثاني وآميان غوستاف آدولف العظيم وهو ابن كارل التاسع ملك السويد ورث العرش بعد وفاة والده في سن السابعة في عام 1611 ويعد من اعظم ملوك السويد وأبرز مؤيدي البروتستانتية وقتل في معركة لوتزن عام 1632. للمزيد ينظر: منير البعلكي, المصدر السابق , ص305.

[88] palais, Op. Cit, P. P. 860–861.

[89] Nicolle, Op. Cit, P.P. 47–48.

[90] عبد المجيد نعنعي، أوربا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة، 1453–1848، مصدر سابق، ص117–119.

[91] Zimern, Op. Cit, P. 368.

الخاتمة

1. كانت العصبة الهانزية محصلة لتغيرات سياسية واقتصادية، وحروب وصراعات دولية شهدتها أوربا منذ القرن الثامن الميلادي.
2. أسهمت السياسة التي اتبعتها مملكة المانيا مع السلاف الونديين، والمتمثلة بمنحهم بعض حقوق وامتيازات الالمان في بناء مدن جديدة، ومنها لوبك.
3. كان للتعاون بين التجار في التصدي لسطوة النبلاء والأمراء، وتكوين النقابات التجارية التي أخذت على عاتقها مسؤولية تنظيم الأعمال التجارية، وحماية التجار الأثر البالغ في تطوير المدن.
4. كانت للسياسة الاقتصادية التي سارت عليها إنكلترا وألمانيا، والمتمثلة بإصدارها القوانين التي تنصب على حماية التاجر الأجنبي أثرها في تزايد التبادل التجاري الذي ساعد على نمو المدن التجارية.
5. أفرزت الحرب بين المانيا والدنمارك واقعاً سياسياً جديداً تمكنت من خلاله بعض المدن من الحصول على الحكم الذاتي ساعدها فيما بعد على الاتحاد والعمل المشترك في التجارة، والذي تحول إلى تحالف عسكري أدى إلى نشوء العصبة الهانزية.
6. يتضح من خلال إصدار العصبة القوانين التي تنظم عملها التجاري والعقوبات التي فرضتها على من لا يلتزم من أعضائها بتلك القوانين، وتنظيمها لشؤون الملاحة البحرية والاهتمام بالمؤسسة العسكرية أنها ذات نظام سياسي وعسكري واقتصادي صارم.
7. تمتعت العصبة الهانزية بدبلوماسية جيدة تمكنت من خلالها الحصول على المكاسب والامتيازات التجارية التي زادت من نشاطها التجاري وهذا ما أدى إلى حدوث تطور اقتصادي ليس لمدن العصبة فحسب، بل تعداه إلى أوربا بصورة عامة.
8. إن فرض العصبة لسيادتها على بحر الشمال والبلطيق أدخلها في سلسلة حروب وصراعات مع بعض الدول الأوربية أثبتت فيها القوة العسكرية التابعة لها فعالية عالية في التصدي للغزوات الخارجية، وإرغام بعض الدول على توقيع اتفاقيات السلام.
9. يمثل القرن السادس عشر البدايات الأولى لضعف العصبة الهانزية على إثر الإجراءات الاقتصادية التي قامت بها بعض دول أوربا، فضلاً عن التنافس بين تجار العصبة والتجار الأجانب الذين حاولوا الحصول على موطئ قدم في التجارة الخارجية يفوق ما وصل إليه تجار العصبة.
10. تمثل الصراعات والحروب الأهلية في ألمانيا، وفي طليعتها حرب الثلاثين عام ضربة قاصمة للعصبة الهانزية، فرغم أنها أعلنت موقف الحياد في هذه الحرب الا انها فقدت على إثرها السيطرة على بحر البلطيق، ومن ثم أعلنت بعض مدنها الانفصال عنها مما أدى إلى تفككها.

قائمة المصادر

اولا : المصادر الاجنبية:

1. A. Chritensen , Scandinavia and The Advance of The Hanseatics, Johnson.Co, London,1957.
2. Arthur D. Innes, A History of England and The British Empire, The Magmillan Company, New York, 1913,Vol. II.
3. Christian Ewert and Stephan Selzer, The Hanseatc Merchants' Variable Strategiesin Heterogeneous ntile Environments, IEHC.Co, Helsinki,2006.
4. David Nicolle, Forces of the Hanseatic League, Osprey publishing, London, No. Date.
5. Ernest F. Henderson , A History of Germany in The Middle Ages , George Bell and Sons , London , 1894 .
6. E .Sample, The Development of Hansa Towns in The relation With Their Geographical Environment, Jornal of American Geographical Society , Vol 16.
7. H .Palais ,Economic and Social History of Medival Europe, Harcourt and Co, New York,1937.
8. _____,England First Attempt to Break The Commercial Monopoly of The Hanseatic League, American Historical Review , New York ,1959.
9. Helen Zimmern, The Hanse Towns, G. P.Putnams Sons, London, 1889.
10. John D. Fudge, Aspects of The Anglo-Hanseatic Conflict in The Fifteenth Century, University of Montréal, Montréal , 1983.
11. Mark Gardiner and Natascha Mehler, English and Hanseatic Trading and Fishing Sites in Medieval Iceland,Anderson .Co, London, NO.Date.
12. P. Dollinger ,The German Hansa,Stanford University Press, Stanford,1970.
13. Peter Stabel, Dwarfs Among Giants: The Flemish Urban Network in the Late Middle Ages, Leuven ,1997.
14. Rev. C. E. Moberly, The Early Tudors Henry VII: Henry VIII, Charles Scribner's Sons, New York, 1889.
15. Walter Zinn,The Hanseatic League and The International Nature of Multinational Business,Michigan University Press,Michigan,No.Date.

ثانيا": المصادر العربية:

1- إسحق عبيد، عصر النهضة الأوربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006.
2- أشرف صالح محمد سيد، قراءة في تاريخ وحضارة أوربا الوسطى، شركة الكتاب العربي الإلكتروني، بيروت، 2008.
3- جفري برون, تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2006.
4- رأفت عبد الحميد, الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2002.
5- روبرت. ر بالمر, تاريخ العالم الحديث، أوربا من القرون الأولى حتى عام 1740، ج1، ترجمة محمود حسين الأمين، مؤسسة فرانكلين للطباعة، الموصل، 1964.
6- س. رون هلستر، أوربا في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د. ت.
7- سعيد عبد الفتاح عاشور،أوربا العصور الوسطى، ج2، مكتبة النهضة المصرية، 1959.
8- عبد الحميد بطريق وعبد العزيز نوار, التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1974

9- _____، التاريخ الأوربي الحديث من عصـر النهضـة إلى أواخر القرن الثامن عشـر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997

10- عبد القادر أحمد يوسف، العصور الوسطى الأوربية، المكتبة العصرية، بيروت، 1967.

11- عبد المجيد نعنعي, أوربا في بعض الحديثة والمعاصرة 1453-1848، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983.

12- كرستوفر دوسن: تكوين أوربا، ترجمة محمد سعيد عبد الفتاح عاشور ومحمد مصطفى زيادة، مؤسسة سهل العرب، القاهرة , 1967.

13- محمود سعيد عمران, معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1986.

14- مفيد الزبيدي، موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ج1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2004.

15- نور الدين حاطوم، تاريخ أوربا في العصر الوسيط، ج1، دار الفكر، دمشق، 1982 .

16- هنري بيربن، تاريخ أوروبا في العصـور الوسـطى (الحياة الاقتصـادية والاجتماعية)، ترجمة عطية القوصـي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996.

ثالثاً: الموسوعات العربية

1- الموسوعة العربية العالمية، ج13، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999.

2- الموسوعة العربية الميسرة، ط2، المكتبة العصرية، بيروت، 2009.

3- جان بيرنجية وآخرون، موسوعة تاريخ أوربا العالم، ج2، ترجمة: وجيه البعيني، منشورات عويدات، بيروت، 1995.

4- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج7، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994.

5- منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، 1992.

الموسوعات الاجنبية :

1. **Encyclopedia Britanica,vols.7,9.**

رابعاً: شبكة المعلومات العالمية(الانترنت)

1. http://forum.educdz.com.
2. http://www.britannica.com.
3. http://ar.wikipedia.org./wiki.
4. http://thebiography.us/enthaakon.
5. http://www.Luminarium.org/encyclopedia/charlesbold.